تفسير ابن كثير

يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى في الاية الأخرى : { وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } .

وقوله تبارك وتعالى : { ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها } أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضا قال ابن عباس Bهما : الجدد الطرائق وكذا قال أبو مالك والحسن وقتاده والسدي ومنها غرابيب سود قال عكرمة : الغرابيب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقتادة : وقال ابن جرير : والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا : أسود غربيب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الاية : هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى : { وغرابيب سود } أي سود غرابيب وفيما قاله نظر .

وقوله تعالى : { ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك } أي كذلك الحيوانات من الأناسي والدواب وهو كل ما دب على القوائم والأنعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضا فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد وصقالبة وروم في غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى في الاية الأخرى : { واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين } وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك ا أحسن الخالقين .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد ا بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد ا عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عليه ا صلى قال ؟ ربك أيصبغ : فقال م ّوسل عليه ا صلى النبي إلى رجل جاء] : قال هماB وسل ّم : نعم صبغا لا ينفض أحمر وأصفر وأبيض] وروي مرسلا وموقوفا وا أعلم ولهذا قال تعالى بعد هذا : { إنما يخشى ا من عباده العلماء } أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : { إنما يخشى ا من عباده العلماء } قال : الذين يعلمون أن ا على كل شيء قدير وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال : العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال سعيد بن جبير : الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية ا D وقال الحسن البصري : العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب ا فيه وزهد فيما سخط ا فيه ثم تلا الحسن { إنما يخشى ا من عباده العلماء إن ا عزيز غفور } .

وعن ابن مسعود Bه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله ا في القلب قال أحمد بن صالح المصري : معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما العلم الذي فرض ا D أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة يريد نور : قوله تأويل ويكون بالرواية إلا يدرك لا فهذا المسلمين أئمة من بعدهم ومن همB به فهم العلم ومعرفة معانيه وقال سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عن رجل قال : كان يقال العلماء ثلاثة : عالم با عالم بأمر ا وعالم با ليس بعالم بأمر ا وعالم بأمر ا ليس بعالم با فالعالم با وبأمر ا الذي يخشى ا تعالى ويعلم الحدود والفرائض والعالم با ليس بعالم بأمر ا الذي يخشى ا ولا يعلم الحدود ولا الفرائض والعالم بأمر ا ليس العالم با الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى ا D